الخـــريف

LA CHUTE DES FEUILLES

للشاعر شارل فوبر ميلله فوى

ترجمة السيد عارف قياسه

« ميلله فوى شاعر فرنسي رقيق من شعراء القرن التاسع عشر (١٧٨٢ — ١٨١٦) طبع بطابع الحزن العميق . تجرع كأس الحمام والغصن أملود والشباب رطيب ، عقب هزال ألح عليه إلحاحاً خطم جسمه تحطيما . نظم ميلله فوى مراثي عديدة — وبذاك نبه ذكره وعلا شأنه — ولعل أشهرها الخريف La Chute des Feuilles

أحس الشاعر الشاب بالموت يدب في مفاصله اللدنة وأعضائه الغريضة فسعد إلى يراعته وقرطاسه وأثبت هذه الآية الشعرية يبكي فيها حياته الفقيدة وشبابه الراحل وغصنه الذاوي . وأنت حين تقرأ غير هذه المرثية مما سجلته يراعة (ميلله فوى) تحس بالكآبة Melancolie تسيل من كلماته وتفيض وتفيض حتى تغمر قلبك فلا تستطيع أن تحبس عينك عن إرسال أدمعها » (عارف)

تناولت يد الخريف الغابات فنضت عنها ثيابها ، وعرّت أشجار من أوراقها الذاوية ، وكست أديم الغبراء بطبقة صفيقة ها ، ففقدت الغابة سرها ، وصمت البلبل الغريد عن الشدو

هيا » و« شانج — إين » لأن ملوكهما كانوا فضلاء وحكماء ؛ لذلك امتدت السعادة إلى أول عهد الأسرة الثالثة التي أسسها ين — وانج » الحكيم الذي كان يطلق عليه اسم الملك ذب، والذي هو النموذج الأعلى لكونفشيوس ، والذي ساهم له في نسخ « إي — كينج » وقد حكم في سنة ١١٢٢ قبل يح

غير أن السلطة انتقلت إلى ملوك غير مستقيمين فسلبت السماء سلطتها منهم ، وسقط الشعب في حضيض التنازع والتفرق ، وأخذ سفار الحكام يستأثرون بالسلطة . وعلى الجملة ساد الشقاء والبؤس لك البلاد خمسة قرون كاملة انتهى بانتهائها هذا العصر وبدأ عصر الذي سنتحدث عنه في الفصل الآتي

« يتبع » محمد قطوب

شاب مريض تبلغت به العلة — أفعم الأسى فؤاده في فجر حياته ، ودب دبيب الموت في جسمه في ميعة صباه — أخذ يطوف بخطى بطيئة متمهلة في الغابة العزيزة على سنيه الأولى وينشد هذه الألحان :

« أيتها الغابة التي أحب ! وداعاً مابعده من لقاء . المنية تنشب أظفارها في جسمي . حدادك أنذرني بجدي العاثر . إني أرى في كل ورقة تساقط من أوراقك آية من آيات موتي

أي عرّافة « أبيدور[1] » الشئومة ! لقد قلت لي :

« ستذوي أوراق الأشجار وستصفر في نظرك ولكن للمرة الأخيرة »

السرو الخالد المتموج الميادأرخى فوق رأسه أفنانه الطويلة وابتدرني قائلاً :

« سيذوي شبابك . سيذوي قبل ذوي عشب المرج وعُسْلج الهضاب »

يا لله ! هأنذا أقضي نحبي . مسّني قر نكباء حر جف

أرى ربيع حياتي يتلاشى (كتلاشي الشموع في زفرة اللظى الحمراء)

تساقطي أيتها الورقة الزاهقة تساقطي !

غشاوة على الأبصار وحجاب على الأعين هذه السبيل

إنها تخفي على يأس أني مقري في اللحد

ولكن إذا توجهت خيبتي — مع دلوك الشمس — شطر المسلك المنعزل ، شعثاء الشعر ، مشقوقة الجيوب تبكي على ، أيقظي بهمساتك الخفيفة ظلي القرير .

قال ذلك ، ثم طفق يبعد . . . وبلا إياب

الورقة المتساقطة أخيراً أعلنت انطفاء شعلته

تحت السنديانة شق لحده . ولكن جيبته لم تأت لزيارة جدثه ، وراعي الوادي هو الوحيد الذي يكدر صفو الرمس بوقع أقدامه

حماه « سوريا » عارف قياسه

---

(١) مدينة تقع على شاطىء بحر إيجه اشتهرت بمرآنيها